علماء وأعلام

آية الله السيد علي الكوهكمري قدس سره

■ مولده ونسبه

لا يُعرف التاريخ والمكان الدقيقان لميلاد السيد علي آقا الكوهكمري على وجه التحقيق، لكن يُرجَّح أنه وُلد في أواخر القرن الثالث عشر الهجري في قرية «كوهكمر». وهو ابن السيد علي‌نقي، من السادة الحسينية، وينتمي نسبه إلى الإمام زين العابدين عليه السلام.

■ دراسته وأساتذته

الذي يكاد يكون متيقَّناً أنه بعد إتمامه العلوم التمهيدية الحوزوية في آذربيجان، توجه إلى النجف الأشرف قبل سنة ١٣٠٦ هـ وواصل دراسته هناك. وحضر في حلقات دراسية لنخبة من كبار علماء الحوزة، ومن أبرز أساتذته ثلاثة: ١. آية الله الملا محمد فاضل الإيرواني، ٢. آية الله الميرزا حبيب الله الرشتي، ٣. آية الله الشيخ محمد فاضل الشربياني.

■ نشاطاته

حظي آية الله السيد علي آقا باستقبال حار من أهل تبريز عند عودته من النجف الأشرف، وشرع في أنشطته العلمية والتبليغية والثقافية، ويمكن إجمال خدماته فيما يلي:

١. التدريس:

كان دخول السيد علي آقا إلى تبريز متزامناً مع فترة ازدهار وعزة وعظمة الحوزة العلمية في تبريز. وقد حقق في تلك الحوزة نجاحات كبيرة، وأروى من علمه عدداً من الظمأى إلى العلوم الإسلامية.

٢. إقامة الجماعة:

كان يقيم الصلاة في مسجد – عُرف لاحقاً باسم «مسجد السيد علي آقا» – ثلاث نوبات، وكان في شهر رمضان المبارك وعقدة محرم الحرام والمناسبات الدينية يصعد المنبر ويلقي الخطب بلسان فصيح وبيان بليغ، يرشد الناس ويهديهم.[

■ مؤلفاته

الأثر الوحيد الذي ذُكر في المصادر الرجالية له هو حاشية على كتاب الصلاة لأستاذه محمد فاضل الشربياني. كما أن ولده آية الله السيد محمد حجة دوّن من دروس والده مباحث الوقت، القبلة، اللباس، مكان المصلى، الأذان، الإقامة وأفعال الصلاة.

■ وفاته

توفي المرحوم آية الله السيد علي آقا الكوهكمري بعد سنوات مباركة من العمر والجهد في سبيل رضا الله تعالى، وذلك في سنة ١٣١٩ شمسية (١٣٦٠ هـ) بمدينة تبريز. وقد نُقل جثمانه الطاهر إلى مدينة قم المقدسة، ودُفن في الروضة المطهرة للسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام

المصدر: موقع دانشنامه اسلامي

الآفاق

فنُّ الخلود: جماليات الموت والشهادة في الفكر الشيعي

■ رئيس التحرير لأسبوعية «الآفاق»

■ مدخل: الموت كولادة ثانية

في التقليد الفكري الشيعي، لا يُنظر إلى الموت باعتباره مجرد نهاية بيولوجية أو توقفاً طبيعياً للحياة؛ بل هو حقيقة وجودية ومعنوية تعيد صياغة علاقة الإنسان بالكون، والحقيقة، والعدالة. الإنسان في هذا الوجود يسلك أحد مسارات ثلاثة: إما طريق الخسران والسقوط المعنوي، أو تجربة الموت الطبيعي العادي، أو الوصول إلى مرتبة تتحول فيها النهاية إلى "شهادة"؛ وهي الحالة التي لا تمثل فناءً، بل ولادة جديدة تفتح آفاقاً غير مسبوقة من الحياة.

■ الشهادة: فعلُ عيشٍ وأثرٌ فني

إن الشهادة في المنظور الشيعي ليست مجرد فعل قتل في ميدان معركة، بل هي "نوع من العيش" وفهم عميق للوجود. الشهيد هو إنسان استطاع العبور فوق تعلقاته الذاتية قبل أن يواجه الميدان، لذا فهو يرى الموت "وصالاً" لا انكساراً.

من هنا، تكتسب الشهادة جمالية عميقة وأصيلة تنبع من واقعة عاشوراء؛ فهي تشبه "العمل الفني المتعالي" الذي تلتقي فيه الحقيقة، والجمال، والأخلاق، والإيمان في نقطة واحدة. وكما يفصل الفن العظيم الإنسان عن رتابة الحياة اليومية ليواجهه بحقائق أعمق، فإن الشهادة تمزق حجاب المادية والعادة، لتكشف عن الطبقات الخفية للوجود، وهو ما يفسر استخدام تعبيرات مثل "العروج"، و"التحليق"، و"لقاء الله" في الأدبيات الشيعية.

■ صدام الجماليات: الرؤية المادية مقابل رؤية عاشوراء

ثمة فجوة شاسعة بين النظرة الغربية الحديثة والنظرة الشيعية للموت؛ ففي الثقافة الحديثة، يُعد الموت حدثاً تراجيدياً ومروعاً يجب الهروب منه لأنه ينهي اللذة والقدرة والملكية. أما في أسمى المراتب الروحية الشيعية، فيتحول الموت إلى أجمل لحظات الحياة، حيث يتحرر الإنسان من سجن الجسد وقيود المادة ليتصل بالحقيقة المطلقة.

هذا التحول الجمالي تجلى بوضوح في كربلاء، حيث نُزع عن الموت وجهه المخيف ليصبح رمزاً للكرامة الإنسانية. أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لم يسعوا وراء الفناء، بل ذهبوا للموت عشقاً للحقيقة لكي تبقى قيمة "الإنسانية" قائمة، محولين الشهادة إلى "فعل جمالي" يعرض الحقيقة بكامل بهائها.

■ الشهيد كحامل للمعنى ولسان للتاريخ

الشهيد في هذا الفكر ليس مجرد بطل عسكري، بل هو "حامل للمعنى". دمه ليس مجرد سائل بيولوجي، بل هو "لغة التاريخ"؛ فالشهيد يتحدث بدمه، يصنع الرواية، ويكشف الحقائق المستورة. ولأن الشهادة تمتلك قوة رمزية وحضارية، فإنها قادرة على تغيير مسار التاريخ وإيقاظ الضمائر النائمة عبر إحياء قيم العدالة والحرية والكرامة.

في العمق العرفاني، الشهيد هو من وصل إلى "الموت الاختياري" قبل الموت الطبيعي، عبر ترويض النفس وتجاوز الأنانية. لذا، فإن الشهادة بالنسبة له ليست فقداناً بل كمالاً، وهو ما يفسر الوصف القرآني للشهيد بأنه "حي" يرزق؛ وهي حياة تعبر عن حضور وجودي وتأثير معنوي مستمر لا ينقطع.

■ صراع المفاهيم وفلسفة المقاومة

هذا الاختلاف الجوهري يفسر فشل المحللين السياسيين الغربيين في فهم قوى المقاومة؛ فنظامهم الفكري يقوم على الربح، والرفاهية، والمحاسبة المادية، حيث لا يقاتل الإنسان إلا إذا كان الربح المادي ممكناً. أما في الرؤية الشيعية، فالمعيار هو "كونك على حق" وامتلاك المعنى، حيث الموت هو جسر نحو الحقيقة.

هذا التباين يفسر لماذا تعجز شخصيات مثل "ترامب" أو "نتنياهو" عن استيعاب العالم الذهني للقادة والشهداء، مثل الشهيد السيد علي خامنئي أو الشهيد السيد حسن نصر الله؛ فالطرف الأول يرى الموت نهاية لكل شيء، بينما يراه الطرف الثاني بداية للخلود. الإنسان في النظرة السكولارية يبحث عن أقصى لذة وأقل ألم، بينما الإنسان في الثقافة العاشورائية يعبر فوق الألم ليصل إلى الحقيقة.

■ خاتمة: الشهادة كفن للخلود

إن جماليات الشهادة لا تعني أبداً تمجيد العنف أو طلب الموت؛ فالتشيع هو مذهب الحياة والعدالة والكرامة، والأصل فيه هو حفظ النفس وبناء المجتمع الأخلاقي. لكن حين تتعرض الحقيقة والكرامة للتهديد، تصبح الشهادة أسمى أشكال المقاومة المعنوية.

يكمن سر بقاء عاشوراء في كونها نموذجاً وجودياً لمواجهة الظلم، حيث يمكن للإنسان أن ينتصر حتى في هزيمته الظاهرية ما دام قد حفظ كرامته. الشهادة بهذا المعنى هي (فن الخلود)؛ فن يُكتب بالدم ليبقى محفوراً في ذاكرة التاريخ، معيداً تعريف الإنسان ككائن يتجاوز حدوده الجسدية ليجد الجمال في قلب المعاناة والحياة في قلب الموت.

الإمام الخامنئي: فقه المستقبل

■ الكاتب: حسام مطر

نافذة على المقالات

في خضمّ الكم الهائل من الكتابات التي تُنشر يومياً عن إيران وقيادتها، قلّما نجد مقالاً يتناول، بدلاً من الأحداث اليومية، الإطار الفكري بعيد المدى الذي رسمته هذه القيادة للمستقبل. يقوم حسام مطر، الأستاذ الجامعي اللبناني، بذلك في هذه المقالة التحليلية: يستقصي وثيقتين أساسيتين صادرتين عن الإمام السيد علي الخامنئي؛ «النموذج الإسلامي الإيراني للتقدّم» الذي صدر عشية الذكرى الأربعين لانتصار الثورة الإسلامية عام ٢٠١٨ ويرسم أفقاً يمتد حتى عام ٢٠٦٥، وبيان «الخطوة الثانية للثورة» الصادر عام ٢٠١٩ موجّهاً إلى جيل الشباب.

يرى الكاتب أن هاتين الوثيقتين تفتحان نافذة لفهم المنطق الحاكم للقرارات الاستراتيجية الإيرانية؛ منطق، وخلافاً للتصوّر الشائع، لا يقوم فقط على انتظار غيبي، بل هو مزيج من العقلانية، وتحديد الأهداف الكمّية والنوعية، والإيمان بدور الإنسان الفاعل في صناعة المستقبل.

يستخلص مطر عشرة محاور أساسية من هاتين الوثيقتين: من الاعتقاد بأن العمل من أجل المستقبل تكليف، إلى فكرة أن الثورة يجب أن تتجدّد جيلاً بعد جيل حتى لا تصاب بالركود. ويشير إلى مفهوم «الحضارة الإسلامية» بوصفه الغاية النهائية لمسار الثورة؛ مسار يبدأ، بحسب قوله، من الثورة وينتهي بالتتابع إلى النظام والدولة والمجتمع والأمة الإسلامية. ويؤكد الكاتب أن هذه الرؤية تقوم على أساس التنافس الحضاري والتأثير الفكري، لا التوسّع العسكري، وتستفيد من المناخ الدولي الناشئ الذي تكتسب فيه القوى الشرقية كالصين والهند وروسيا مكانة أكبر.

يخصّص الكاتب جزءاً مهماً من التحليل للعدالة الاجتماعية والاقتصاد المقاوم. ويُظهر كيف أن الوثائق موضع البحث تعتبر الفساد السياسي غير مقبول حتى في أضيق أبعاده، وتطرح استقلال الموازنة عن عائدات النفط هدفاً استراتيجياً لتحصين الاقتصاد في مواجهة العقوبات. وفي هذا السياق، يشير مطر إلى سعي القيادة لموازنة ثنائيات من قبيل العلم والدين، أو الهوية الوطنية والدينية؛ سعي يرى فيه الكاتب ابتعاداً عن التفكير الأحادي والمتطرّف.

ومن النقاط اللافتة الأخرى في هذه المقالة، تأكيد الكاتب على مكانة الشعب في هذا الإطار الفكري. إذ يذكّر بأنه في عملية إعداد وثيقة التقدّم، طُلب من المؤسسات والجامعات والحوزات العلمية مراجعة المسودّة ومناقشتها، ونُشرت الوثيقة للاطلاع العام عبر الإنترنت؛ وهو إجراء يصوّر، بحسب رأيه، نظام ولاية الفقيه في هيئة ما يُسمّى «السيادة الشعبية الدينية».

وتختتم المقالة بتحذيرين يحملان طابعاً نصحياً أكثر منه تحليلياً: الأول أن صنع السياسات من دون رؤية بعيدة المدى يحمل تكاليف خفية لا تظهر إلا في المستقبل؛ والثاني أن النية الحسنة والقيم السامية لا تُغني عن النقد والمساءلة. ويخلص الكاتب في تقييمه الختامي إلى أن هذا المنهج، رغم حمولته الأيديولوجية، يمثّل نموذجاً جديراً بالتأمل بالنسبة للدول النامية الساعية إلى مسار مستقل نحو التقدّم.

المصدر: جريدة الأخبار (لبنان) | ٢٦ آب/أغسطس ٢٠٢٠

حُجُب الإنسان

مقتطفات

إن الالتفات إلى غير الله يحجب الإنسان بحُجُبٍ «ظلمانية» وأخرى «نورانية». فكلُّ أمرٍ دنيوي، إذا صرف الإنسان إلى الدنيا وأورثه الغفلة عن الله تعالى، كان سببًا في نشوء الحجب الظلمانية. فجميع عوالم الأجسام تُعدُّ من الحجب الظلمانية. أمّا إذا كانت الدنيا وسيلةً للتوجّه إلى الحق، وبلوغ دار الآخرة، وهي «دار التشريف»، فإن الحجب الظلمانية تتحوّل إلى حجبٍ نورانية.

و«كمال الانقطاع» هو أن تتمزّق جميع الحجب، ظلمانيةً كانت أم نورانية، ليتمكّن الإنسان من الدخول إلى ضيافة الله تعالى، التي هي «معدن العظمة». ولذلك يطلب أهل المعرفة في هذه المناجاة ـ المناجاة الشعبانية ـ من الله سبحانه أن يرزقهم بصيرة القلب ونوره، حتى يتمكّنوا من خرق الحجب النورانية والوصول إلى معدن العظمة:

حَتّى تَخرِقَ أبصارُ القلوبِ حُجُبَ النُّورِ، فَتَصِلَ إلى مَعدِنِ العَظَمَةِ.

أمّا من لم يمزّق بعدُ الحجب الظلمانية، وكان همّه كلُّه منصرفًا إلى عالم الطبيعة، وكان ـ والعياذ بالله ـ معرضًا عن الله تعالى، جاهلًا بما وراء الدنيا وعالم الروحانية، و«منكوسًا إلى الطبيعة»، ولم يسعَ يومًا إلى تهذيب نفسه، وإحياء الحركة والقوة الروحية والمعنوية في داخله، وإزالة الحجب السوداء التي أظلّت قلبه، فإنه يقبع في أسفل سافلين، وهو أدنى مراتب الحجب الظلمانية، كما قال تعالى:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

مع أن الله سبحانه قد خلق الإنسان في أسمى المراتب وأكمل هيئة، فقال عز وجل:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

فالذي يتبع هواه، ولم يلتفت منذ عرف نفسه إلا إلى عالم الطبيعة المظلم، ولم يخطر بباله قط أن وراء هذه الدنيا الملوثة المظلمة دارًا أخرى ومنزلًا آخر، قد غرق في الحجاب الظلماني، وأصبح مصداقًا لقوله تعالى:

﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

إن صاحب القلب الملوّث بالذنوب، المحجوب بالحجاب الظلماني، والروح التي أبعدتها كثرة المعاصي عن الحق تعالى، والمستغرق في عبادة الهوى وطلب الدنيا حتى أعمت شهواته عقله وبصيرته، لا يستطيع أن يتحرر من الحجب الظلمانية، فضلًا عن أن يمزّق الحجب النورانية ويبلغ مقام الانقطاع إلى الله.

وأقلّ ما ينبغي أن يتحلّى به هذا الإنسان هو أن يحتفظ بإيمانه بحيث لا ينكر مقامات أولياء الله، ولا يعدَّ عوالم البرزخ، والصراط، والمعاد، والقيامة، والحساب، والكتاب، والجنة، والنار، أساطير وخرافات. فالإنسان، بسبب المعاصي والتعلّق بالدنيا، ينتهي به الأمر تدريجيًا إلى إنكار هذه الحقائق، وإنكار مقامات أولياء الله، مع أن تلك المقامات ليست إلا ما وردت الإشارة إليه في الأدعية والمناجاة.

المصدر: الخميني، السيد روح الله، الجهاد الأكبر، ص ٤٥–٤٧.

«الأُمّيّ» و«الأُمّيُّون»

مصطلح الأسبوع

كلمة «الأُمّيّ» مصطلح قرآني يُذكر كصفة للنبي محمد صلى الله عليه وآله، وكلمة «الأُمّيُّون» صفة لأهل جزيرة العرب.

يُقال «الأُمّيّ» لمن لم يتعلم القراءة والكتابة. ولذلك لُقّب النبي صلى الله عليه وآله بهذا الوصف لأنه لم يتعلم القراءة والكتابة من أحد. ليس معناه أنه لم يكن يعرفها. أما أُمّيّة النبي صلى الله عليه وآله فأمر تاريخي واضح وقطعي؛ إذ يشهد التاريخ أن حضرته قبل البعثة وبعدها لم يتعلم القراءة والكتابة عند أي معلم أو أستاذ. ذلك لأن معظم أهل الحجاز في عصر النبي صلى الله عليه وآله كانوا أُمّيّين لا يعرفون القراءة والكتابة، ولم تكن عملية التعليم والتعلم صناعة أو حرفة لها مكانة بينهم. لذلك لم يكن يتقن هذه المهارة إلا عدد قليل جداً، سُجّل منهم سبعة عشر شخصاً فقط. وبالتالي، لو كان النبي صلى الله عليه وآله قد تعلم القراءة والكتابة عند أحد في ذلك المجتمع لاشتهر الأمر بين الناس حتماً.

ويُعدُّ هذا الوصف كمالاً للنبي صلى الله عليه وآله، ومدحاً وثناءً عليه، ودليلاً على رسالته وإعجازه. فأهمية القراءة والكتابة تكمن في أن يستفيد الإنسان من آراء وأفكار الآخرين المودعة في مؤلفاتهم ليزيد من معلوماته. أما من علّمه الله علوم الأولين والآخرين دفعة واحدة، وكل الناس عاجزون عن الوصول إليها، فما حاجته إلى تعلم القراءة والكتابة؟

لقد عرض حضرته على المجتمع كتاباً لم يستطع أحد أن يأتي بمثله، دون أن يمر بالمراحل العرفية لتعلّم القراءة والكتابة.

قَبَسٌ مِن نور

أمانة البقاء

■ أحمد باقر الطويل

ليست جميع اللحظات العظيمة في التاريخ تُقاس بما وقع فيها، بل بما بقي بعدها. فكم من معركة انتهت بانتهاء يومها، وكم من قائدٍ ملأ الدنيا ضجيجًا ثم لم يبقَ منه إلا اسمٌ في صفحات التاريخ. أما الرسالات الإلهية فلا تُقاس بلحظة الحدث وحدها، وإنما بما تتركه من أثرٍ يبقى بعد انقضائه. ولهذا لم يكن السؤال الأكبر بعد عاشوراء: من استشهد؟ بل كان السؤال الأخطر: من سيبقى؟

لقد بدا المشهد في كربلاء وكأن كل شيء قد انتهى. ارتقى الإمام الحسين عليه السلام شهيدًا، ولحق به أهل بيته وأصحابه، وأُحرقت الخيام، وسُبيت النساء، وسيق الأطفال أسرى، حتى خُيّل للناظر أن الطغيان لم ينتصر بالسيف وحده، بل نجح أيضًا في إسكات آخر صوتٍ يمكن أن يروي للأمة حقيقة ما جرى. غير أن إرادة الله شاءت غير ذلك.

فكما شاء سبحانه أن يكون للحسين عليه السلام يومٌ يوقظ ضمير الإنسانية، شاء أيضًا أن يبقى بعده من يحمل تلك الرسالة، ويصونها من الضياع، حتى لا تتحول عاشوراء إلى ذكرى تاريخية، بل تبقى مدرسةً تهدي الأجيال.

ذلك الباقي لم يكن قائد جيشٍ جديد، ولا صاحب رايةٍ يواصل القتال، بل كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام؛ خرج من كربلاء أسيرًا، يحمل في قلبه من الألم ما تعجز الكلمات عن وصفه، لكنه حمل معه أيضًا أمانةً أعظم من الألم نفسه: أمانة حفظ رسالة كربلاء.

وقد ينظر الإنسان إلى ظاهر الأحداث، فيقول إن الإمام بقي حيًا لأنه كان مريضًا يوم عاشوراء، فلم يشارك في القتال. وهذا يفسر ظاهر الواقعة، لكنه لا يكشف حكمتها. فالمؤمن يعلم أن الله إذا أراد أن يحفظ رسالةً خالدة، فإنه لا يهيئ لها رجال الشهادة وحدهم، بل يهيئ أيضًا رجال البقاء. ولو استشهد الإمام زين العابدين عليه السلام مع أبيه، لبلغت كربلاء ذروة التضحية، لكنها كانت ستفقد الشاهد الذي يحمل حقيقتها، ويكشف مقصدها، ويمنع أن يكتبها المنتصرون كما يشاؤون. وهنا تتجلى سنة إلهية عميقة؛ فكما أن للشهادة رجالًا، فإن للبقاء رجالًا أيضًا. لقد حفظ الإمام الحسين عليه السلام الدين بدمه، وحفظ الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك الدم من أن يُنسى أو يُحرَّف. فالدم يستطيع أن يهز الضمائر، لكنه لا يشرح نفسه. والشهادة، مهما بلغت عظمتها، تحتاج إلى من يحفظ معناها، ويبين أهدافها، حتى لا تضيع بين دعاية السلطة وغبار الزمن. ولهذا لم يُبقِ الله الإمام السجاد عليه السلام لينجو من كربلاء، بل ليحمل كربلاء إلى المستقبل.

ومن هنا نفهم أن أمانة البقاء لم تكن أقل شأنًا من أمانة الشهادة، بل كانت امتدادًا لها. فكلتاهما كانتا جزءًا من المشروع الإلهي لحفظ الدين، إحداهما بالدم، والأخرى بالكلمة والوعي. وهكذا لم تكن كربلاء خاتمة الطريق، بل بداية مرحلة جديدة، انتقلت فيها الرسالة من ميدان الدم إلى ميدان الكلمة، ومن صوت السيوف إلى صوت الحقيقة.

لكن كيف حمل الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الأمانة وهو خارجٌ من كربلاء أسيرًا؟ وكيف استطاع أن يحول القيود إلى منبر، والأسر إلى رسالة، حتى بدأ الانتصار الحقيقي لعاشوراء بعد انتهاء المعركة؟ ذلك ما نتأمله في المقالة القادمة، بإذن الله.